جامعة ديالى
كلية التربية

الحزن
في
شعر العصر الإسلامي

رسالة تقدمت بها الطالبة
شيماء صباح عبدال التميمي
كلية التربية جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور
خليل إبراهيم عبدالوهاب القيسي

المدرس الدكتور
مشحن حردان مظلوم الدليمي

اصـــب علـــى قبريكمـــا مـــن مدامـــة فـــان لـــم تـــذوقها قبـــلّ ثراكمـــا
وابكيكمـــا حتـــى الممـــات ومـــا الـــذي يـــرد علـــى ذي عولـــة ان بكاكمـــا[2]

وبهذا يكون الحزن واحدا في جميع العصور وفي جميع الاوقات الاّ ان بواعثه ومظاهره تختلف من عصر الى آخر ، ومن شاعر الى آخر.

---

(1)ينظر :الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام :141.

(*)هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عمرو بن اياد خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها وحكمها في عصره .

(2)شرح الحماسة للمزروقي: 2/ 875.

الفصل الاول
بواعث الحزن في العصرين

كثيرة هي التساؤلات التي يطرحها الانسان ازاء ماحوله ، فكلمة (لماذا) كثيرة التردد في نفسه، فلايحدث شيء الا اذا كان له سبب او باعث على حدوثه ، كذلك الحزن هذه العاطفة الانسانية التي لايخلو منها انسان ، فقد اولاها مكانة عظيمة ، فلطالما التصقت به

في حياته ماضيه وحاضره ، تقوده الى تلك البواعث التي شكلت محورا للافصاح عن خلجات نفسه المتاججة . ولم تات تلك العواطف من دون حافز يستثيرها ويحركها تجاه حدث ما ، فالعلاقة وثيقة بين تلك المؤثرات والعاطفة الانسانية، والعاطفة الانسانية في اوجز تعبير لها هي : ((تنظيم وجداني ثابت نسبيا ومركب من عدة استعدادات انفعالية تدور حول موضوع معين قد يكون شيئا او شخصا او جماعة او فكرة))[1].

فجاء الشعر ورقة ناقلة لنوع العاطفة التي تكمن في نفس الشاعر[2] والتي كان لها الفضل في اثارة الموهبة الفنية عند الاديب ودفعته الى القول . وعد العديد من النقاد ان الباعث النفسي هو الدافع الى القول.[3]

*بواعث الحزن في العصر الاسلامي:

ان لظاهرة الحزن في العصر الاسلامي بواعثا واسبابا عديدة وجدناه من خلال استقراء ذلك الشعر انها تتمثل بالاتي:

1-الموت:

هي الكلمة التي اذا ماذكرت في حضرة الانسان فزع منها ، او ربما ارتجف خوفا منه ، وطالما شغل الموت الفكر الانساني ، وجعله يقف مذهولا امامه فبدأ يبحث عن مسبباته وظروفه ، فأيقن ان الانسان لابد ان يتجرع كاس الموت ، فهو ((لاراد له ، ولاحرص معه مهما كانت التدابير والاحترازات ومهما كانت التعاويذ ويستوي فيه كل من الانسان والحيوان والنبات بمعنى اخر كل كائن حي))[4].

---

(1)اصول علم النفس:154.

(2)ينظر : نقد الشعر في المنظور النفسي : 81.

(3)ينظر : دراسات في الادب العربي : مقدمة الكتاب .

(4)قراء معاصرة في قصيدة ابي ذؤيب الهذلي في رثاء ابنائه (بحث) : مجلة فلادلفيا : 68.

ويعد الموت من الديون التي لابد لها من التقاضي ، وانه لاسبيل الى الخلود ، ولابد لكل نفس من الذهاب ، ولكل جسد من الفناء[1]. قال تعالى في محكم تنزيله : ((كلّ مَنْ عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام))[2].

فالموت واحد في كل زمان ومكان ، ولكن النظر اليه يختلف من انسان الى انسان ، ومن عصر الى عصر اخر ، ومن دين الى دين، فقد آمن سكان وادي الرافدين القدماء

ايمانا عميقا بالموت ، وانه نهاية كل انسان مهما بلغ من قوة وجبروت ، ومصيره ملاقاة حتفه اجلا ام عاجلا.

اما الخلود فقد كتب للالهة وحدهم بعد ان جعلوا الفناء نصيبا للبشر ، وقد مثلت ملحمة كلكامش ذلك الصراع الازلي بين الموت والفناء المقدرين وبين ارادة الانسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة الخلود.[3]

((لان ايام البشر معدودة والالهة

وحدهم الذين يعيشون الى الابد))[4]

والانسان في وادي الرافدين ((نادى بالحياة والخلود ، ورفض الموت والفناء ولم يقبل بتلازم الموت والحياة ، بل كره الموت وقلق من كل مايوحى به ، وكان جل همه الخلاص من الموت الى الابد فأرسى ثقل شخصيته كلها على الحياة وصب جهده كله على ادامتها ، فكان الخلود ديدنه وهدفه وغاية مسعاه))[5].

لقد سلم العراقيون بحتمية الموت ، واستحالة بقاء الانسان في الحياة بصورة دائمية ، ولكنهم في الوقت نفسه لم ينبذوا فكرة الخلود بل استنبطوا معنى اخر للخلود يمكن ان يكون في متناول الانسان ، من دون ان يرافقه بقاء دائم في الحياة او أي نكران للموت ونعني بذلك الذكر الحس للانسان بعد موته.[6]

اما في العصر الجاهلي فقد آمن الشعراء بالموت ، فهم لايغفلون عن ذكره واثره في نفوسهم وحياتهم اليومية[7] ، لكنهم لم يؤمنوا بوجود عالم آخر اذ يعتقد الإنسان

---

(1)ينظر: نهاية الارب في فنون الادب : 164.
(2)الرحمن /55.
(3)ينظر : تاريخ العراق القديم : 2 /23-24.
(4)ملحمة كلكامش : 97.
(5)هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي : 19.
(6)ينظر:المصدر نفسه : 18.
(7)ينظر: في الشعر الجاهلي : 176.

الجاهلي ان وجوده محصور كله في العالم المحدود لا عالم آخر . ولكن مثل هذا لم يحمله على اليأس التام ، ولم يقتل فيه الجهد والترقب والتوقع بما حمله على العكس على الاقبال بحثا عن الخلود وتحقيق البقاء[1]((وكأن الطبيعة والزمن كانا المعلم الاول والحقيقي لايصال الشاعر الى تلك العبر))[2] فقد ظل الموت مرتبطا بمعادلة غير متكافئة الطرفين

فصانع الموت هو الزمن[3]((او هو الدهر الذي يرادفه كثيرا))[4] فالدهر عند امرىء القيس غول لايفلت منه احد ، اذ يقول : [من الوافر]

الـــــم يحزنـــــك ان الـــــدهر غـــــول ختـــــور العهـــــد يلـــــتهم الرجـــــالا[5]

فالزمن هو الغول الذي يسيطر على كل شيء ، ويسوق الاحياء الى الفناء والعدم ، فهو يلتهم الرجال واحدا تلو الاخر .

فعلى هذا ((فالموت هو المصيبة التي لاتدفع ، والرزية التي لاترد بكثرة الجموع ولاتمنع والحادثة التي لاتنصرف بالفداء، وان جل مقداره، والنازلة التي لاتتاخر عن وقتها بالدعاء ، وان عظمت في غيرها اثاره ، وهو احد الاربعة التي فرغ منها ، وصرفت وجوه المطامع عنها))[6].

اما نظرة الانسان المسلم الى الموت فتختلف عن غيره فبعد مجيء الاسلام ((آمن المسلمون بان الله قد كتب الموت على كل كائن حي ، فلا ينجو منه مخلوق))[7] قال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ومالحياة الدنيا الا متاع الغرور)[8] اذ اصبح مؤمناً بان هذه الدنيا فانية، وانتقاله الى دار البقاء ، مقترن بعمله في الدنيا ((فاهل الجنة هم فيها

---

(1)ينظر : هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي: 44.

(2)في الشعر الجاهلي : 178.

(3)ينظر : هاجس الخلود في الشعر العربي : 46.

(4)الحياة والموت في الشعر الجاهلي : 89.

(5)الديوان: 309.

(6)نهاية الارب في فنون الادب : 165.

(7)هاجس الخلود في الشعر العربي : 289.

(8)ال عمران /185.

خالدون وأهل النار هم فيها خالدون ، فالمرد الى جنة او نار اذن لكل منهما خلود بلا موت ، واقامة بلاظعن ... وقد اقيل المسلمون على هذا الدين وفرائضه وقيمه وتعاليمه ممتلئين قناعة بان الالتزام به والتمسك بما امر به والامتناع عما نهى عنه هو طريقهم الى الخلود في نعيم الاخرة))[1].

فآمن المسلم بان لكل اجل كتاب ، فاذا ماحان اجله لايمكن تاخيره او دفعه قال تعالى : (إذا جاء أجَلهم فلا يستأخِرُون ساعةً ولا يستقدِمُون)[2] فالموت ليس مقصورا على فئة دون اخرى ، بل يصيب حتى الانبياء والرسل، وقد اشار القران الكريم في مواضع عدة الى موت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: (وما محمد إلا رَسولٌ قَد خَلَت مِن قبلِهِ الرّسل أفإن ماتَ أو قُتِلَ إنقلَبتمُ عَلَى أَعقابِكُم . وَمَن يَنْقَلِبَ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضرَّ اللهَ شَيْئًا)[3] فكان الم وحزن المسلمين شديدا لفقدهم ((النبي الموجه لحياة المسلمين جميعا))[4] فكانت اشعارهم كلها لوعة واسى لفراقه (صلى الله عليه وسلم)((فقد ورد في معظم هذه المراثي ذكر صفات النبي الخلقية الزاكية وتاكيد حزن الشاعر والمه لفقد شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم))[5].

فهذا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) يذكر في قصيدته التي تزدحم بمعاني الاسى والحزن لموت الرسول(صلى الله عليه وسلم) باسلوب اسلامي ، ترتاح له النفس عند سماعه فهو ، يخاطب عينيه التي هجرت النوم منذ وفاته (صلى الله عليه وسلم) حزنا وجزعا عليه ،قائلا : [من الكامل]

مابال عينيك لاتنام كأنما كُحِلَت مآقيها بكُحْلِ الارمَد
جَزَعا على المهدي أصبحَ ثاوياً ياخيرَ من وطي الحَصَى لاتَبعدِ
جنبي يقيك التّربِ لهفي ليتني غيّبتُ قَبلَك في بقيع الغرْقدِ
بأَبي وأُمي من سهدت وفاته في يوم الاثنينَ النّبي المُهْتدى
والله أَسمع مابقيتُ بهالكِ إلاّ بكيتُ على النّبي مُحمدِ[6]

---

(1)هاجس الخلود في الشعر العربي : 290.
(2)يونس /49.
(3)ال عمران /144.
(4)الامالي في الادب الاسلامي :49.
(5)المصدر نفسه :227.
(6)الديوان :62.

ورثت السيد فاطمة (رضي الله عنها) والدها بقصيدة رائعة جسدت فيها مشاعر الابنة الحزينة لفقد والدها ، فنراها اشركت في حزنها الشمس ، والافق ، والعصرين ، والارض فكلها حزينة لوفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وبكاء البلاد بغربها وشرقها

وبكاء الطور والبيت فبكته بعاطفة انسانية جياشة ، وقلب يتدفق الما وحزنا ، قائلة : [من الكامل]

اغيـــــر افـــــاق الســـــماء وكُـــــوّرت شـــمسُ النَّهـــار وأَظْلـــمَ العَصـــرانِ
والارضُ مِـــنْ بعـــدِ النّبـــي كئيبـــةٌ أَســـفا عليـــه كثيـــرة الرجفـــانِ
فليبكـــه شـــرق الـــبلاد وغربهـــا وليبكيـــه مُضَـــرٌ وكـــل يمـــان
وليبكيـــه الطـــور المعظـــمَ جـــوُّه والبيـــت ذو الاســـتار والاركـــانِ
ياخـــاتمَ الرّســـل المُبـــاركِ صـــفوةً صـــلى عليـــك منـــزّل القـــرآن[1]

فالانسان بعد ان يرى الموت يعصف بالمقربين منه يئنُّ وينفجع ، اذ يشعر بفاجعة مروعة تصيب قلبه ، فقد اصابه الدهر في ابنه ، او اخيه ، او ابيه ، وهو يترنح من هول المصيبة ترنح الذبيح ، فيبكي بالدموع الغزار ، وينظم الاشعار ، يبث وينفث فيها لوعة قلبه وحرقته ، وقد ينظر فيرى الموت مطلا نصب عينيه، وهو ينحدر راغما الى حفرته ، ولاناصر له ولامعين ، ويصيح ولاينفع صياحه ، ففم الهاوية يقترب منه ، ويوشك ان يلتقمه ، فيبكي ويلحن بكاءه على قيثارة شعره تلحينا كله الما وحسرات[2].

ولكن في الوقت نفسه يتفاوت شعور الانسان تجاه من فقدهم على الرغم من اعتزازه بهم جميعاً ، فنرى الناس في مواقف مختلفة ، منهم من يبكي بكاء مرا على فقيده ، ومنهم من يتجلد ولايظهر حزنه ، ومنهم من يبكي بكاء صامتا غير ظاهر ، ولكن يبقى الحزن هو نفسه على الفقيد.[3]

وكان موت الابناء اشد حزنا وحرقة ، فالاباء يموتون لوعة ، ويذوبون اسى على فراق فلذات اكبادهم حتى كانهم ليهلكوا ، فسيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) يبكي ويحزن لموت ولده ابراهيم[4] قائلا: ((ان العين لتدمع ،وان القلب ليحزن، وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون))[5].

---

(1)العمدة : 153/2.
(2)ينظر: الرثاء: 5.
(3)ينظر: رثاء الابناء في الشعر العربي: 13.
(4)ينظر : الرثاء في الشعر العربي: 33.
(5)صحيح البخاري: 3 /151.

ويعد رثاء الابناء ((من اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثي طفلا او امراة، لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات))[1] لان الطفل والمراة ليسا مثل الرجل فهما

لايخرجان للقتال وخوض المعارك ، فلا تكثر فيهما الصفات كالشجاعة والكرم التي يذكر بها الرجل المرثي فأبو ذؤيب الهذلي الذي فجع بموت ابنائه الخمسة في عام واحد، جاء شعره فياضا بعاطفة الحزن والالم التي فرقت نفسه الحزينة ، فنرى ابياته تجمع بين الندب والعزاء[2] قائلا: [من الكامل]

أمـــن المنـــون وريبهـــا تتوجـــع والـــدّهرُ لـــيس بمعتـــبٍ مَـــنْ يَجـــزعُ
قالـــت أميمـــة مـــا لجســـمك شـــاحباً منـــذ ابتـــذلت ومثـــلِ مالـــكَ ينفـــع
ام مالجنبـــــك لايلائـــــمُ مضـــــجعا الا اقـــــضّ عليـــــك ذاك المضـــــجع
فاجبتهـــا ان مـــا لجســـمي أَنـــةٌ اودى بنـــي مـــن الـــبلاد وودعـــوا[3]

فملامح الحزن ظاهرة عليه من شحوب جسمه وهزاله ، فضلا عن هجران النوم له بعد موت ابنائه ، ((ولا غرابة في ذلك ، فالانسان عندما يفقد عزيزا عليه يصعق لفقده، فكيف الحال بخمسة ابناء تخطفهم المنية دفعة واحدة ، او على دفعات متعاقبة))[4]

وازاء هذه المواقف الصعبة والحزينة منهم من ينهار ومنهم من يتجلد ، ومنهم من يتخذه موقفا وسطا ، ففي البداية بكى الشاعر ، ولكنه تجلد وتجمل بالصبر حتى لايشمت به اخر ، ايا كانت درجة قرابته منه ، او بعده. ولعل هذا التجلد ينطلق من مفهوم اسلامي وانساني ، وهما موقفان لايتناقضان ، فالموقف الاسلامي يحتوي الجانب الانساني ، ويتفق ولو ذهنيا مع المفهوم القبلي الذي كان سائدا في الجاهلية ، فالابناء سند وعزوة مع ما يعنيه ذلك من مفاهيم اجتماعية على صعبيد العمل والقرية والفروسية.[1] فيقول:

---

(1)العمدة : 2 /154.

(2)ينظر : ابو ذؤيب الهذلي ، حياته وشعره : 55.

(3)ديوان الهذليين : 1.

(4)قراءة معاصرة في قصيدة ابو ذؤيب الهذلي في رثائه ابنائه ، (بحث) : مجلة فلادلفيا : 67.

(5)المصدر نفسه : 68.

وتجلـــــدي للشـــــامتين اريهـــــم انـــي لريـــب الـــدهر لااتضعضـــعُ[1]

فكأن تجنب الشماتة دافع لاذعانه بالقضاء والقدر((هذا الاذعان الذي يدعوك الى تقبل الشيء وكما هو مادام قد وقع ، فلا تستطيع له مردا))[2] فأبو ذؤيب تقبل هذا القضاء لانه لايستطيع رده او تغييره.

وللتعبير عن حزنه ، فقد رسم لنا صورة فنية ، عبر فيها عن الصراع بين ابناءه والموت ، متخذا من الحيوان وسيلة او رمزا للتعبير عن صراعه مع الموت[3] فمرة يصف لنا هلاك حمار الوحش ، وفي الصورة الثانية يصف لنا هلاك الثور والصورة الثالثة يصف الصراع بين الموت والفارس: [4] اذ وظف الشاعر صورة الحيوان لتكون متنفسا للتعبير عن حزنه ، وهذا ليس بالجديد على الشاعر ((فمن عادة الشعراء اذا كان الشعر مرثية ، او موعظة ان تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش ، ان تكون الكلاب هي المقتولة))[5]

وشاعر اخر رثى ابنه بعاطفة الابوة التي لاتدانيها عاطفة معبرا عن حزنه والمه وتُفجعه لموت ابنه الذي خرج فاتحا في سبيل الله ، فكان نصيبه الشهادة[6] ، فقال عقيل بن علفة[*] [من الطويل]

لعمر لقد جاءت قوافل خبّرت بامرٍ من الدنيا علي ثقيلِ
فقالوا الا تبكي لمصرع هالكٍ اصاب سبيل الله خير سبيلِ
كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها تِرة او تهتدي بدليلِ
لتأتِ المنايا حيث شاءت فانها محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحلّ بنجوة فحلّ الموالي بعده بسبيلِ[7]

---

(1)ديوان الهذليين : 1 ،شرح ديوان الهذليين : 1.
(2)في الادب الجاهلي : 69.
(3)ينظر : ابو ذؤيب الهذلي ، حياته وشعره : 57.
(4)ينظر :ديوان الهذليين : 2 /20. شرح ديوان الهذليين : 1 /8-41.
(5)الحيوان : 2 /20.
(6)ينظر : رثاء الابناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي: 46.
(*)عقيل بن علقة بن الحارث بن معاوية بن ضياب بن جابر بن يربوع يكنى ابا العباس وابا الحرباء ، وهو شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الاموية.
(7)الكامل في اللغة والادب : 2 /336.

فنراه صابرا متجلدا على الرغم من فقده ابن له في ساحة القتال ولوم الناس له لعدم بكائه على ولده ، وقد جاء ذلك نتيجة لتأثره بتعاليم الدين الاسلامي الذي هذب النفوس ، وبات الانسان يلجأ الى الاله في الملمات ، واصبحت مرضاة الله هي المبتغاة.[1]

واصبحت الشهادة اعلى منزلة ، يتمنى كل فرد مسلم ان ينالها حتى اصبح المسلمون يهنئون انفسهم اذا ما نالوا الشهادة في سبيل الله ، ايمانا بقوله تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين)[2].

وعبدالرحمن العتبي[*] سأم وضجر من الدنيا وما فيها ، لما لاقاه من فقد ابناءه حتى ان احشاءه ذابت من حرقته وحزنه عليهم ، فقد وجد الشاعر ان الحزن على الابناء هو الحزن الحقيقي الذي لايدانيه حزن، ولاسيما في حالة شاعرنا ، لكونه فقد اثنين من اولاده ، لم يكن بينهما دهر طويل وإنّما ليالٍ معدودة ، لذلك لن ينتهي حزنه ، ويستمر الى الابد فقال حزينا: [من الخفيف]

كَلَّ لساني مما أَحد وذقت ثكلاً ماذاقه احدُ
واوطنت حرقة حشاي فقد ذاب عليها الفؤاد والكبد
ما عالج الحزن والحرارة في الـ احشاء مَنْ لم يمتْ لهُ ولد
فُجعتُ باثنين ليس بينهما الا ليالٍ ليست لها عدد
فكل حزن يبلى على قدم الدّ هر وحزني يجده الابد[3]

وتبقى فكرة الموت هي الباعث الاول لجميع المراثي فنجد جريرا يرثي ولده ، ويصف حاله وحال زوجته ، التي فجعت بموت ولدها الذي مات وهو غريب بالديرين ، ولم يجد من يبكي عليه هناك[4] . فيصف عميق حزنه فيقول .[5] : [من البسيط]

---

(1)ينظر:رثاء الابناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي : 46.

(2)البقرة/155-157.

(*)محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن ابي سفيان ، المعروف بالعتبي ، منسوب الى جده عتبة ، وقيل الى (عتبة) التي كان يتغزل بها ، وهو شاعر مجيد توفي (228هـ) .

(3)الكامل في اللغة والادب : 2 /332.

(4)ينظر : رثاء الابناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي : 52.

(5)الديوان: 345.

قالوا نصيبك من اجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت اشبالي؟
فارقتني حين كف الدهر عن بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي
امسى سوادة يجلو مقلتي لهم باز يصرصر فوق المربأ العالي

الا تكـــن لـــك بالـــديرين معولـــة فـــرب باكيـــة بالرمـــل معـــوال[1]

وكما خطف الموت، سوادة بن جرير دون سابق انذار فقد فجع الفرزدق بموت ولديه فرثاهما بمرثية قال فيها : [من الطويل]

بغـي الشـامتين التـرب ان كـان مسـني رزيـة سـبلي مخـدر فـي الضـراغمِ
ومـا احـد كـان المنايـا وراءه ولـو عـاش ايامـا طـوالا بسـالمِ
ارى كـل حـي مـاتزل طليعـة عليـه المنايـا مـن ثنايـا المحـارم
وقـد رزيء الاقـوام قبلـي بنـيهم واخـوانهم فـاقني حيـاء الكـرائم
فمـا ابنـاك الا مـن بنـي النـاس فاصـبري فلـن يرجـع المـوتى حنـين المـآتم[2]

فالفرزدق رسم صورة صادقة عبرت عن مشاعره الانسانية تجاه الموت فنجده تحلى بالصبر والجلد امام الشامتين . فنراه يصبر نفسه بتذكيرها بان الموت اصاب اقواما قبله فخطف منهم ابناءهم واخوانهم ، ذلك تابع من ايمانه بالموت ((والتسليم لله والرضا بقضائه ، والصبر على امتحانه احتساباً ، وطلبا للاجر والمثوبة من عنده))[4] وبان الموت لايفرق بين صغير وكبير ، وبين رجل وامراة ، وانه مهما فعل هو وزوجه، فلن يرجع ذلك ابنهما ، فليس لهما الا الصبر والجلد على هذه الرزيئة .

ان فقد الاهل والاحبة مدعاة للبكاء والحزن والاسى عليهم ، فالفقيد يكون بين اهله واحبته ثم تاتي يد الموت وتخطفه ، فيبكوه((وغايتهم تخفيف الم المصاب والتنفيس عما اصاب النفوس من الم وحزن وذكر للميت من أثر حميد))[3] كحال مالك بن نويرة، الذي قتل في حروب الردة فاوقف متمم اخوه شعره على رثائه ، والبكاء عليه ، فيقول: [من الطويل]

---

(1)الديوان : 2 /206.

(2)الرثاء : 87.

(3)رثاء غير الانسان في الشعر العباسي :17.

لعمـــري ومـــا دهـــري بتـــأبين مالـــك ولاجزعـــا والـــدهر يعثـــر بـــالفتى
لـــئن مالـــك خلـــى علـــي مكانـــة لفـــي اســـوة ان كـــان ينفعنـــي الاســـى[1]

وقال في احدى مراثيه يذكر فيها حزنه على اخيه : [من الطويل]

ارقـــت ونـــام الاخليـــاء وهـــاجني مـــع الليـــل هـــمّ فـــي الفـــؤاد وجيـــع
وهـــيج لـــي حزنـــا تـــذكر مالـــك فمـــا نمـــتُ الاّ والفـــؤاد مـــروع[2]

وكان من الاثار التي تركها موت اخيه في نفسه انه بات يقضي ليله يشكو من الارق ، فجميع الناس خلدوا للنوم الا هو فمع قدوم الليل هاجت عليه همومه واحزانه ، فاوجعت قلبه المحزون ، ((فمضى يعبر في شعره ، ويصور ماتفيض به نفسه من اسى عميق، وألَم دفين، وحسرة مكبوتة ، ومن هنا جاء شعره صورة صادقة لحديث النفس ، والنجوى الباكية الحزينة))[3] التي قلما نجدها عن شعراء آخرين[4] . ((ولذلك اعجب به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وذكر انه حين انشده متمم قصيدته التي مطلعها : [من الطويل]

لعمـــري ومـــادهري بتـــأبين مالـــك ولاجزعـــا ممـــا اصـــاب فأوجعـــا[5]

قال عمر: هذا والله التأبين ،ولوددت انني احسن الشعر فأرثي اخي زيدا بمثل ما رثيت به اخاك . فقال متمم : لو ان اخي مات على مامات اخوك مارثيته فقال عمر : ماعزاني احد في اخي بمثل ماعزاني به متمم))[6].

ولشدة حزنه على اخيه يروى((ان محاولة جرت لتزويجه ، لعله ينسى اساه وحزنه ، وانهم زوجوه امراة تدعى ام خالد، فبينما هو واضع راسه يوما على فخذها ، اذ بكى ، فقالت: لا اله الا الله اما تنسى اخاك !))[7] فيقول معاتبا اياها :[من الطويل]

---

(1)مالك ومتمم ابنا نويرة : 83.
(2)المصدر نفسه : 102.
(3)حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة :337.
(4)ينظر : مالك ومتمم ابنا نويرة:5.
(5)المصدر نفسه:83.
(6)الكامل في اللغة : 3 /242.
(7)مالك ومتمم ابنا نويرة :22.

اقـــول لهـــا لمـــا نهتنـــي عـــن البكـــا افـــي مالـــك تلحيننـــي أمّ خالـــد
فـــان كـــان اخـــواني اصـــيبوا واخطـــأت بنـــي امـــك اليـــوم الحتـــوف الرواصـــد
فكـــل بنـــي ام سيمســـون ليلـــة ولـــم يبـــق مـــن اخـــوانهم غيـــر واحـــد

ذرينـــي فـــالا ابـــك لانســـى ذكـــره وان امرتنـــي بـــالعزاء عوائـــدي[1]

فالشاعر يخاطب في هذه الابيات زوجته التي لامته لبكائه اخيه ، وحزنه الشديد عليه ، مخاطبا اياها بانه لن يترك حزنه واساه ، وانّه لو كان باستطاعته ان يفيده باموالـه لما تاخر عن ذلك [2].

واستمر حزنه على اخيه ، حتى انه لما قدم العراق واقبل لايرى قبرا الا بكى عليه ، قيل له ، يموت اخوك بالملأ ، وتبكي انت على قبره بالعراق، فيقول:[من الطويل]

لقـد لامنـي عنـد القبـور علـى البكـا رفيقـي لتـذراف الـدموع السـوافك
امـن اجـل قبـر بـالملأ انـت نـائح علـى كـل قبـر او علـى كـل هالـك
فقـال: اتبكـي كـل قبـر رايتـه لقبـر ثـوى بـين اللـوى فالـدكادك
فقلـت لـه ان الشـجا يبعـث الشـجا فـدعني فهـذا كلـه قبـر مالـك[3]

ان الشاعر يظهر حزنه ، اينما حل وارتحل ، فهو لايبكيه عند قبره فقط، وانما يبكيه في كل زمان وفي كل مكان ، فهو في ذاكرته دائما، ولايترك فرحة الا وذرف فيها دموعه ليطفيء لوعته وحزنه واساه مع وجود نزعة انسانية شمولية ، واستعداد للتجاوب مع الام الاخرين[4].

وبهذا نجد ان متمما قد ابدع في اظهار حزنه ولوعته واساه لفقده اخيه الذي لم ينسه يوما ، وكان يتحين الفرص ليبكيه ويرثيه بعاطفة صادقة ورقيقة ، وحزينة فجاء شعره معبرا عما في دواخل نفسه ، فاستطاع ايصال حزنه الى الاخرين.

---

(1)المصدر نفسه :22.
(2)مالك ومتمم ابنا نويرة: 43.
(3)المصدر نفسه : 125.
(4)ينظر : مقالات في الشعر الجاهلي : 348.

وعلى الرغم من ايمان الشاعر بحتمية الموت، فانه عند مواجهته يتفلت صبره من قيده ، فلا يملك ازاءه الا الحزن واظهار اللوعة ، ((ثم يعود الى نفسه ، فيرى ان كل مايصنعه لايغنيه ، لان المحنة في حقيقتها محنة كبيرة ، محنة الناس جميعا ، يمتحنون بها صباحا ومساء ، لايستطيعون لها ردا ولا دفعا ، فالناس كلهم يموتون والناس كلهم

يصابون بحميم او قريب))[1] لعل ذلك ماجعل الشمرول اليربوعي[*] يقول في رثاء اخويه قدامة ووائل ، وقد جاء نعي الاول من فارس ، قتله جيش تعرضهم ثم تلاه نعي وائل بثلاثة ايام : [من الطويل]

اعاذل كم من روعة قد شهدتها وغصة حزن في فراق أخ جزل
اذا وقعت بين الحيازم اسدفت علي الضحى حتى تنسيني اهلي
وما انا الامثل من ضربت له اسى الدهر عن ابني اب فارقا مثلي
اقول اذا عزيت نفسي باخوة مضوا لاضعاف في الحياة ولاعزل
ابى الموت الا فجع كل بني اب سيمسون شتى غير مجتمعي الشمل
سبيل جيبي اللذين تبرضا دموعي حتى اسرع الحزن في عقلي
كان لم نسر يوما ونحن بغبطة جميعا وينزل عند رحليهما رحلي[2]

فقد اظهر الشاعر حزنه ولوعته لفراقه اخوته ، فقد بكاهم بارق الشعر ،ونعاهم باصدق ماينعى به انسان ، وما اظهره عليهم من جزع ، وابداه من عواطف واضحة من صور التفرق والتشتت فهي مراثي تصدر عن قلوب قرحة[3] ، ولكون الشعر في ذاته ظاهرة نفسية[4] فموت الاحبة والاهل يشعر الشاعر بالتعاسة والفجيعة ، اذ ابدت زينب بنت الطثرية[*] حزنها على اخيها (يزيد) بعد ان اختطفته يد الموت ، ونجد ذكرها لمعاني الكرم والشرف والشجاعة والقوة الجسدية ، يشف عما في نفسها من كوامن

---

(1)الرثاء: 87.

(*)هو الشمردل بن شريك بن عبدالله احد بني ثعلبة بن يربوع ، وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية ، كان ايام جرير والفرزدق ، وكان يقال له ابن الفريطة ، وهو من شعراء بني تميم.

(2)شعراء امويون : 547/2(شعر الشمرول البيربوعي) . الحيازم : جمع الحيزوم : وهو مااستعار بالظهر والبطن او خلع الفؤاد ، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . اسدفت :اظلمت.

(3)ينظر :شعراء امويون: 510.

(4)ينظر : المراة في الشعر الجاهلي: 286.

(*)زينب بنت سلمة بنت سمرة بنت سلمة الخير بنت قشير بنت كعب بنت ربيعة بنت عامر بنت صعصعة شاعرة اسلامية من العصر الاموي.

الحزن ، فاذا بها تضفي على اخيها صفات يخيل للقارئ انه قد انفرد بها دون سائر الناس.[1] في قولها : [من الطويل]

يســـرك مظلومـــا ويرضـــيك ظالمـــا وكـــل الـــذي حملتـــه فهـــو حاملـــه
اذا القـــوم امـــوا بيتـــه فهـــو عامـــد لاحســـن ماقولـــه وهـــو فاعلـــه
اذا نـــــزل الاضـــــياف كـــــان علـــى الحـــي حتـــى تســـتقر مراجلـــه
اذا كـــان حـــين الجـــد ارضـــاك جـــده وذو باطـــل ان شـــئت ارضـــاك باطلـــه
وكنـــت اعيـــر الـــدمع قبلـــك مـــن بكـــى وانـــت علـــى ملـــك مـــات بعـــدك شـــاغله[2]

فنراها بدات بذكر صافته التي يتحلى بها كأنصافه المظلوم والعقود والسماحة اذ كـان ((تعديـد خصـال الميـت ، وتسـجيل مناقبـه يظهـر اثـر فقـد المرثـي بـين النـاس والمجتمع))[3] فالشعراء هم اقدر الناس على تصوير ما يمرون به من حزن واسى ، فهذا البيد، يرثي اخاه (اربد) الذي مات نتيجة لصاعقة احرقته ، فبالرغم من جزعه وحزنه عليه الا انه يؤمن ايمانا تاما بالموت ، ومايصيبه الدهر من فواجعه ، فيقول : [من الطويل]

بلينـــا ومـــاتبلى النجـــوم الطوالـــع وتبقـــى الجبـــال بعـــدنا والمصـــانع
وقـــد كنـــت فـــي اكنـــاف جـــار مضـــنة ففـــارقني جـــار باربـــد نـــافع
فـــلا جـــزع ان فـــرق الـــدهر بيننـــا وكـــل فتـــى يومـــا بـــه الـــدهر فـــاجع
فـــلا انـــا يـــاتيني طريـــف بفرحـــة ولا انـــا ممـــا احـــدث الـــدهر جـــازع[4]

فقد اخضع الشاعر رثاءه الى مقاييس اسلامية ، فقد تحدث بلغة تدل على الايمان بالموت والفناء لكل من على وجه الارض ، وعلى المسلم ان يؤمن بالقدر، وان يقبل كل ماهو مكتوب ولايجزع مما يصيبه[5] معبر عن ذلك بابيات رائعة استطاع ان يفرغ

---

(1)ينظر :مالك ومتمم ابنا نويرة :46.
(2)حماسة البحتري: 275.
(3)ديوان كعب بن مالك : 115.
(4)الديوان: 88.
(5)ينظر:نازك الملائكة ، دراسات في الشعر والشاعرة: 211.

كل ماوعته تجاربه من العبر والافكار الى جانب الابداع الشعري[1] فيقول: [من الطويل]

اتجـــزع ممـــا احـــدث الـــدهر بـــالفتى واي كـــريم لـــم تصـــبه القـــوارع
لعمـــرك ماتـــدري الضـــوارب بالحصـــى ولازاجـــرات الطيـــر مـــاالله صـــانع

ســـلوهن ان كـــذبتموني متـــى الفتـــى يـــذوق المنايـــا او متـــى الغيـــث واقـــع[2]

ونجده في هذه الابيات يظهر جلده وصبره على الموت الذي يصيب كل انسان ، ولايعرف الانسان ماالذي سيصيبه ومتى وهذا الايمان بالقدر نابع من حزنه الذي بلغ مبلغا كبيرا وفي المفهوم الاسلامي اصبح الاستشهاد اسمى درجات الموت، فالشهيد في المفهوم الاسلامي انتقل الى حياة اخرى ، وانتقلت روحه الى جنة الخلد قال تعالى: (ولاتحسبنَّ الذين قتلوا في سَبيلِ الله امواتاً بل أحياءً عند ربّهم يرزَقون)[3] فقد بكى كعب بن مالك حمزة(رضي الله عنه) اتى على ذكر شمائله الكريمة ، وخصاله الحميدة فعرضها احمل عرض ، فهو سيد شريف ، كريم الحسب باذل للاموال بطل في ساحات القتال فيقول: [من الطويل]

قـــرم تمكـــن فـــي ذؤابـــة هاشـــم حيـــث النبـــق والنـــدى والســـؤدد
والعـــاقر الكـــوم الجـــلاد اذا غـــدت ريـــح يكـــاد المـــاء فيهـــا يجمـــد
والتـــارك القـــرن الكمـــي مجـــدلا يـــوم الكريهـــة والقنـــا يتقصـــد[4]

ويقول: [من الكامل]

ولقـــد هـــددت لفقـــد حمـــزة هـــدة ظلـــت بنـــات الجـــوف فيهـــا ترعـــد
ولـــو انـــه فجعـــت حـــراء بمثلـــه لرايـــت راســـي صـــخرها يتبـــدد[5]

كان استشهاد حمزة صدمة عنيفة بالنسبة لكعب فقد رثاه بقصائد تفيض شعورا بالالم الصادق والعواطف المتاججة ، وعبر فيها عن النفس الحزينة المكلومة هدها الهم ، وضعفها الحزن.[6]

---

(1)ينظر : تاريخ الادب العربي قبل الاسلام : 376.
(2)الديوان: 88.
(3)ال عمران /169.
(4)الديوان : 114.
(5)المصدر نفسه : 114.
(6)ينظر :المصدر نفسه : 114.

ويطلب من عينيه ان تكسب الدموع ولاتبخل في سكبها حزنا على عبيدة بن الحارث ، والذي قتل في يوم بدر فيقول : [من المتقارب]

ايا عين جودي ولا تبخلي بدمعك حقا ولاتنزري
جرىء المقدم شاكي السلاح كريم النشأ طيب المكر(1)

فكعب يخاطب عينه وبطالبها بسكب الدموع ، ولاتبخل لان الذي يبكي عليه يستحق هذا البكا والدموع ، وهي ليست قليلة في حقه فهو الجرىء الكريم.

وكان لاستشهاد الحسين بن علي(عليهما السلام) الاثر الكبير في نفوس الشعراء، فسليمان بن قتة يرثيه ، يقول : [من الطويل]

مـــــررت علـــــى ابيـــــات ال محمد فلـــم ارهـــا كعهـــدها يـــوم جلـــت

الـم تـر ان الشـمس اضـحت مريضـة لفقـــد حســـين والـــبلاد اقشـــعرت

وكـــانوا رجـــالا ثـــم صـــاروا رزيـــة فقـــد عظمـــت تلـــك الرزايـــا وجلـــت

وان قتيـــل الطـــف مـــن ال هاشـــم اذل رقـــاب المســـلمين فـــذلت[2]

فكلماته تنبض بالحزن والحسرة والالم لمقتل الامام الحسين (عليه السلام) واتخذ من الشمس وسيلة للتعبير عن حزنه وحزن المسلمين ، فقد استهل مرثيته بالتفجيع، مصورا مرض الشمس دلالة على حزن المسلمين لعظيم فقدهم .

وكان لموت الصحابة والخلفاء الراشدين اثر كبير في نفوس الشعراء ، فنجدهم يحزنون على موتهم ، فهذا حسان بن ثابت يرثي ابا بكر الصديق(رضي الله عنه) تعبيرا عن حزنه وحزن المسلمين قاطبة، فنجد في رثائه الفاظا تدل على مدى عمق الدين الاسلامي في نفوسهم ومدى تأثرهم به ، مقتبسا من معاني القرآن الكريم قائلا: [من البسيط]

اذا تـــذكرت شـــجوا مـــن اخـــي ثقـــة فـــاذكر اخـــاك ابـــا بكـــر بمـــا فعـــلا

وكـــان حـــب رســـول الله قـــد علمـــوا مـــن البريـــة لـــم يعـــدل بـــه رجـــلا

خيـــر البريـــة اتقاهـــا وارقهـــا بعـــد النبـــي واوفاهـــا بمـــا حمـــلا[3]

---

(1)الديوان : 115.

(2)الكامل في اللغة والادب : 223/1.

(3)الديوان : 298-300.

وتعد تعاليم الاسلام وسيلة للتعبير عن حزن الشاعر ، فحسان يتخذ من الدين الاسلامي ومن معانيه والفاظه وسيلة لبيان حزنه والم المسلمين لفقد خليفتهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيقول في رثائه . [من الطويل]

عليـــك ســـلام الله مـــن اميـــر وباركـــت يـــد الله فـــي ذاك الأديـــم الممـــزق

فمـــن يجـــرأ ويركـــب جنـــاحي نعامـــة ليـــدرك ماقـــدمت بـــالامس يبـــق
قضـــيت امـــورا ثـــم غـــادرت بعـــدها نـــوافجِ فـــي اكمامهـــا لـــم تفتـــق[1]

روح الاسلام ، تتمكن من النفس الانسانية بحيث تجعلها تؤمن بانه لايمكن لشيء ان يكون الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى . فليلى الاخيلية تؤمن بان موت عثمان بن عفان (رضي الله عنه) جاء لامر الله ، فقد قدر الله مايلاقيه في حياته فكان موته وعدا ، فلا بد من الايمان به وتقبله ، فتقول : [من البسيط]

خليفـــــة الله اعطـــــاهم وخـــــولهم ماكـــان مـــن ذهـــب جـــم واوراق
فلاتكـــــذب بوعـــــد الله وارض بـــــه ولاتوكـــل علـــى شـــيء باشـــفاق
ولاتقـــولن لشـــيء ســـوف افعلـــه قـــد قـــدر الله ماكـــل امـــرىء لاق[3]

فنجد الايمان التام بالموت ، وقبوله والصبر على هذه المصيبة التي لاينجو منها احد.

وتفيض عينا حسان بن ثابت بالدموع عند تذكره للخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لشدة حزنه عليه والمه على رزء الامة ومصابها بفقدها له فيقول : [من البسيط]

اذا تذكرتـــــه فاضـــــت باربعـــــة عينـــي بـــدمع علـــى الخـــدين محتـــتن[3]

---

(1)الديوان: 92.

(*)هي ليلى بنت عبدالله بن الرحال وقيل ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية ،وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الاسلام توفيت 80هـ /نحو 700م.

(2)الديوان :82.

(3)الديوان :249.

يشترك الشاعر العربي في رثاء(عثمان بن عفان)(رضي الله عنه) ويبكي عليه بكاء مرا، طالبا من عينيه ان تفيض دموعا لشدة حزنه وحسرته عليه .

وتتعرض الامة الاسلامية لرزء اخر باستشهاد الامام علي (عليه السلام) ففاضت قرائح الشعراء ، حزنا واسى والما على فقده، فهو حب رسول الله ، فهذا السيد الحميري[*] يذكر حزنه واساه ، مبينا فضائله ومدينا قتلة ، فيقول : [من البسيط]

الملخص

“Abstract”

The concept of Sadness in Arabic Poetry the Islamic Age” This thesis attempts to study the concept of sadness through its causes that excited the Islamic Poet to express this feeling by all its aspects which appeared in his poetry.

The Introduction discusses the lexical definition of the term, Sadness, Sadness in the Per-Islamic Age, its causes and its appearances.

Chapter one treats the causes of Sadness and it cantions four sections one, “Death” ; section two “Home – Sickness” ; Section three, “Deprivation”, and Section for, “Old Age”. In all these sections the concept of Sadness is treated from its humanistic aspects.

Chapter two dectares the appearances of sadness in the poetry of the Islamic age. Sadness was represented by weeping, moaning, watering graves, waking throughout the night and the night appears to be longer. These are the most widely used appearances of sadness through which the poets expressed their feeling of sorrow.

And chapter three shows the most important technical abevices which appear in the poetry of sadness. The chapter consist of three sections. The first, “Language”, deals with the poetic lexicon. The words and abstractions from the Holy Quran ; the second, “Style”, contains : Intoragation, Addressing, Oath, repetition. Those devices were employed by the poets to express the images and meanings of sadness; And the third section which deals with the imagery through simile and metaphor which were the most important rhytorical devices that expressed the meaning and appearance of sadness in the Islamic poetry.